مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

الملفُ العاشورائي

عبدُ الحليم الغِزّي

منشورات موقع زهرائيّون

الملفُّ العاشورائي

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في سبع حلقات وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 11 / 12 / 2010

يـــا زهـــــراء

هواكَ يأخذني يا حُسينُ بعيداً . . .

فيُشَرّقُ بي زماناً ومكاناً تارةً . . .

ويُغَرّب بي تارةً أخرى . . .

وأعودُ أدراجي بين لهفة الشوقِ ونشوة الوصالِ . . .

فألقاكَ مُتَرَبّعاً في فؤادي . . .

يسرحُ ويمرحُ حُبُّكَ في مرابعهِ متوهجاً . . .

مُتّقِداً على شفير الانتظار وكلُّ ذرةٍ في وجودي تنطق بملء فيها :

شربتُ الحُبّ كأساً بعد كأسٍ فما نَفَذَ الشرابُ ولا رَوِيتُ

المجلس السادس

عاشوراء ذلك المشروع الإلهي العملاق

التأثير الحسيني في أصل التركيبة البشرية

ليلة العاشر من المحرم ١٤٣٢ هـ

عَظَّمَ الله أجوركم، وأحسن الله عزائكم، ووفقنا وإياكم لخدمة حُسينٍ وآل حُسين، أنيروا مجلسكم بالصّلاة على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

يا زَهــرّاء

بسم الله الرَّحمَن الرَّحيم

سَلامٌ عَلى مَرَابض قُدسكَ يا حُسين، سَلامٌ عَلى أفناء طُهرك، سَلامٌ عَلى كُلّ غَورٍ ونجدٍ يَقودُني إليك، فَيُشرقُ من بين حَنايا القُلوب نورُ بهائكَ وحُسنك، سَلامٌ عَلى دَمكَ المُرَاق، سَلامٌ عَلىَ شَيبكَ الخَضيب، سَلامٌ عَلى خَدّكَ التَرِيب، سَلامٌ عَليكَ يا حَبيب، يَا أحَبَّ من كُلّ حَبيب يا حُسين.

تمَثَّلتُ يَومكَ في خاطري ورددت صوتك في مسمعي

أبياتٌ ألتقطها من عينية الجواهري العصماء

تمَثَّلتُ يَومكَ في خاطري ورددت صوتك في مسمعي
ومَحَّصتُ أمركَ لم أرتَهب بنقل الرواة ولم أُخدَعِ
وقُلتُ لعلَّ دَويَّ السنين بأصداء حادثك المُفجعِ
وما رَتَلَّ المخلصون الدُّعاةُ من مُرسلينَ ومن سُجَّعِ
ومن ناثراتٍ عليكَ المساءَ والصبح بالشعر والأدمعِ
لعلَّ السياسة فيما جنت على لاصقٍ بك أو مُدّعي
وتشريدها كلَّ من يَدّلي بحبلٍ لأهليك أو مقطعِ
يداً في اصطباغ حديث الحسين بلونٍ أُريدَ له ممتعِ

ولَـمَّـا أزحــتُ طــلاء الـقــرون وستر الخداع عن المخدَعِ
أريــدُ الحقيقــة فـي ذاتــهـــا بغير الطبيعة لم تُطبعِ
وجـدتــك فـي صـــورةٍ لـم أُرَع بـأعـظـم منـهـا ولا أروعِ
تقحمت صدري وريب الشكوك يـضـجُّ بجـدرانـه الأربعِ

مثلما تقحمت جبال الحديد يوم الطفوف، تقحمت الصدور، تقحمت العقول.

تقحمت صدري وريب الشكوك يـضـجُّ بجــدرانــه الأربـعِ
فـأسـلـم طـوعـاً إليـك القـيـادَ وأعـطـاك إذعـانـة المهطـعِ
فنـورت مـا أظلـم مـن فـكـرتي وقومت ما اعوجَّ من أَضلعي
وقـدســت ذكـراك لـم أنتحـل ثيـاب التُقــاة ولـم أدّعـي

سَلامٌ عَلىَ شفاهكَ الذّابلات، سَلامٌ عَلى عُيُونكَ الغائرات، سَلامٌ عَلىَ ثَغرِكَ المقروع بالخيزران.

في بعض كتب المقاتل لقد كسروا ثنايا الحُسَين، الثنايا هي هذه الأسنان التي تكون في مقدمة الأسنان، إذاً كم كان الضربُ بالخيزران شديداً على فم الحُسَين، وإلا كيف تكسرت الأسنان، لذلك إمامنا صاحبُ الأمر حين يُسلم على جده في الزيارة، في زيارة الناحية المقدسة – **السَّلامُ عَلىَ الثّغر المَقروع بالقَضيب** – هذا القضيب هو قضيبُ الخيزران الذي ضُربت به شفاهُ وأسنانُ سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه، وأنتم تصوروا كم يكون الضرب شديداً حتى تتقلع الثنايا، تتقلع الأسنان.

أعودُ إلى كلامي الذي لم أتمهُ في ليلة البارحة، والكلامُ متواصلٌ في الإجابة على سؤالٍ مرَّ ذكرهُ مراراً وتكراراً: ما هي عاشوراء؟

وكان الحديثُ عن هدفٍ قريبٍ، وهدفٍ وسيطٍ، وعن هدفٍ بعيدٍ، وهو الهدف الأتم الأكمل، المشروع المهدوي، وكان حديثنا في ليلة البارحة في هذه الأحناء والأنحاء، وذكرت مثالاً فصلت فيه القول في قضية طاقة الشمس وعملية التركيب الضوئي، أردت أن أقرب المعنى في اللطف الواصل من الإمام صلوات الله وسلامه عليه من إمام زماننا مع عملية التركيب الحُسَيني، في الحاضنة الحُسَينية، التي خط حدودها أبو عبد الله في أول هدفٍ من أهداف هذا المشروع الإلهي العملاق، وقلتُ بأن هذه الحاضنة فيها جهتان من الخصوصية، خصوصية تتعلق بنا وتحدّثت عنها ولو بشكلٍ مُجمل في قضية إحياء أمر الحُسَين صلوات الله وسلامه عليه، وأشرتُ بنحوٍ مجمل إلى أهم الشعائر الحُسَينية والتي سأفتح لها ملفاً إن شاء الله تعالى في الأيام القريبة القادمة عبر شاشة قناة المودة الفضائية، سأفتح ملفاً هو مَلَفُّ الشعائر الحُسَينية، سأتحدّث عن تفاصيل هذا الموضوع في عدة حلقات.

الخصوصية الثانية التي وعدتكم أن أتحدث عنها في هذه الليلة، خصوصية هذه الحاضنة من جهة الحُسَين

صلوات الله وسلامه عليه، لأن الخصوصية من جهتنا تحدثت عنها في ليلة البارحة، بقيت الخصوصية في هذه الحاضنة من جهة سيد الشهداء، أختصر الكلام فأستشهدُ ببيتين من منظومة الأنوار القدسية، وهي من أجلّ المتون العقائدية ومن أجلّ المتون التي اشتملت على ذكر مقامات أهل البيت، بحسب ما جاءت في كلماتهم، وفي رواياتهم، وفي أحاديثهم، أنا أشير إلى بيتين هما موطن الحاجة في كلامي، منظومة الأنوار القدسية لمرجعٍ من مراجع هذه الأُمَّة، الشيخ مُحَمَّد حسين الأصفهاني رضوان الله تعالى عليه، توفي قبل سبعين سنة، من مراجع النجف ماذا يقول في الموطن الذي يتحدّث فيه ينظم فيه القول عن سيد الشهداء؟

لو كُشفَ الغطاءُ عنك لا ترى سواهُ مركزاً لها ومحورا

الكلامُ عن الحُسَين، مركزاً لها ضمير الهاء هنا يعود على ساحة الفيض، على ساحة الوجود، على حقيقة كل الوجود.

لو كُشفَ الغطاءُ عنك لا ترى سواهُ مركزاً لها ومحورا

وهل ترى لملتقى القوسين أثبت نقطةً من الحسين

هنا يشير بالقوسين إلى مصطلحٍ معروف عند أهل الحكمة وعند أهل المعرفة قوس الصعود وقوس النزول.

وهل ترى لملتقى القوسين أثبت نقطةً من الحسين

الحُسَين هو النقطة التي يلتقي عندها قوسا الصعود والنزول، وما معنى ذلك؟ ما جاء في أحاديث أهل بيت العصمة في مقامات أهل البيت الغيبية، في منازلهم الربوبية، الشيخ الأصفهاني هنا جَمَعَ كلَّ هذه المعاني، وكلَّ هذه المداليل في هذين البيتين من منظومته التي قلت قبل قليل بأنها تشتمل على كل معاني المقامات الغيبية للنبي وآل النبي التي وردت في رواياتهم وفي زياراتهم الشريفة، ما المرادُ من قوسي الصعود والنزول؟

بشكل موجز وبشكل تقريبي، المرادُ من قوس الصعود ومن قوس النزول أن هذه الكائنات، وأن هذه الموجودات ابتداءاً من العرش وحتى ما فوق العرش، روايات أهل البيت تخبرنا عن عوالم من العوالم النورية ما بعد عالم العرش، كلُّ العوالم، من عالم العرش، إلى عالم الكرسي، إلى كلّ عوالم الغيب، إلى عوالم الشهادة، إلى هذا العالم الترابي، إلى عالم الطبيعة التي نعيش فيها، كل هذه العوالم بعضها يمثل عن البعض الآخر صورةً، مثالاً، نموذجاً، أُقرّبُ المعنى حينما يُقال:

بأنَّ الإنسان هو الكونُ الصغير وإن الكون هو الإنسان الكبير.

هذه من الكلمات الموجزة المختصرة التي يقولها أهل المعرفة وأهل الحكمة: **بأن الإنسان هو كونٌ صغير وبأن الكون هو إنسانٌ كبير**، هناك توافقٌ وتطابق ما بين هذه المخلوقات، والحديثُ هنا عن الإنسان الذي يهمنا في كل هذا الحديث هو الحديثُ عن الإنسان، وما يكون من كلامٍ في هذه الجهة عن الإنسان يكون في سائر الموجودات أيضاً لكنني أقتصرُ الكلام على الإنسان، حين يخبرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم –

إنَّ الله خَلَقَ آدمَ عَلىَ صُورَته – وآراءٌ كثيرة في معنى هذا الحديث، وأنا هنا لا أريد الدخول في تفاصيل هذه الآراء، إنما أذهبُ إلى المعنى الذي يتوافقُ مع روايات وكلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم – **إنَّ الله خَلَقَ آدمَ عَلىَ صُورَته** – هناك الصورة الإلهية – **إنَّ الله خَلَقَ آدمَ عَلىَ صُورَته** – على صورة من؟ هل خلق آدم على صورة آدم؟! هل يمكن ذلك؟ – **إنَّ الله خَلَقَ آدمَ عَلىَ صُورَته** – على صورة الله، هناك الصورة الإلهية، الصورة الإلهية هي الصورة الكبرى، المراد منها الحقيقة المحَمَّدية، المراد منها النور الأول، كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شيء، ثم تكلم بكلمة، هذه الكلمة هي الصورة الإلهية الكبرى، وإن الله خلق آدم على صورته، صورة آدم إنما هي صورةٌ لتلك الصورة الإلهية الكبرى التي هي الكلمة الأولى والتي تتناسبُ مع عالم الطبيعة، مع عالم الأرض، أُقَرّب الأمر بمثالٍ آخر:

أنت وبطاقتك الشخصية، أنت وجواز سفرك، ما حقيقتك عند الحكومة؟ حقيقة الإنسان في دوائر الدولة مجموعة أوراق، الإنسان الذي يفتقد الأوراق الرسمية لا يعتبر موجوداً رسمياً في أي دولةٍ من الدول، أليس هو هذا الشيء المتعارف؟! وجود الإنسان في نظر الدولة هو وجودٌ قانوني، الوجود القانوني هو وجودٌ اعتباري، أين يتجلى هذا الوجود الاعتباري؟ في أوراق، أوضح مظهر لهذه الأوراق الوثيقة الرسمية، الجواز، البطاقة، الجنسية، كل دولة بحسب نظامها، أين أنت ستكون في هذه البطاقة؟ صورتك، حينما يريدون التعامل معك يتعاملون مع هذه الصورة، وحينما يريدون أن يفتحوا لك ملفاً يأخذون صورةً على صورة جوازك، فهذه الصورة إذا أردت أن أقول بأنها مخلوقة، مخلوقةٌ على صورتك الحقيقية، تتناسب مع الجواز، هل يمكن أن تكون أنت بنفسك موجوداً في الجواز؟ لا يمكن لأن طبيعة الجواز، هذا الحجم المحدود، الطبيعة الورقية لا يمكن أن تكون أنت موجوداً بنفسك في الجواز، العالم الأرضي عالم محدود، عالم محدود مقيد لا يمكن أن يسع شيئاً بسعة تلك الصورة التي هي مجمع الأسماء الحسنى، فهناك صورة – **إنَّ الله خَلَقَ آدمَ عَلىَ صُورَته** – وإن كانت هناك معانٍ أعمق لهذا الحديث، فآدم هنا له دلالة أعمق فقد قال سيدُ الأوصياء: **وأنا آدمُ الأول** – في خُطَبه في أحاديثه – **وأنا آدمُ الأول** – وآدم الأول لها دلالة أعمق من هذا المعنى، ولكنني سأتحدث في هذا الأفق الذي دارت حولهُ الأحاديث في الليالي الماضية، فكما أنك لا يمكن أن تكون موجوداً في جواز السفر إلا من خلال هذه الصورة، لا يمكن أن يكون وجودك الحقيقي بلحمك، ودمك، وعظمك، وشحمك، أن تكون موجوداً في وثيقة السفر أو في بطاقة إثبات الشخصية، فتكون بهذه الصورة التي تكون مطبوعة على الورق، وحينما تُراجع الدوائر الرسمية يتعاملون مع صورتك وكأنك أنت، وحينما تريد السفر يطبقون ويطابقون بين صورتك الموجودة في الجواز وبينك أنت، لأن هذه الصورة هي أنت، وأنت أيضاً الصورة ولكن بشكلٍ آخر – **إنَّ الله خَلَقَ آدمَ عَلىَ صُورَته** – هناك الصورة الإلهية الكبرى

وهي الكلمة الأولى، أول ما خلق خلقهم ثم خلق الأشياء من أنوارهم وهذا المعنى واضحٌ في كلمات أهل البيت، ومن بديهي القول لمن كان عارفاً بأحاديث أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قد يستغربهُ البعض بسبب جهله، حتى وإن كَبُرت العمائم وطالت اللحى، إذا استغربهُ البعض فلجهله بحديث أهل البيت، وإلا من كانت له أدنى مُسكة بحديث أهل البيت وأدنى إطلاع هذه من المعاني البديهية التي لا تحتاج إلى نقاش، أصلاً هذه المعاني يرسلها الأئمة إرسالاً ومن دون براهين لأنها من البديهيات لا يعني أن لا براهين عليها لكن الأئمة حين كانوا يُحدثون أشياعهم بهذه المضامين يحدثونها هكذا إرسالاً لأنها من البديهيات.

لو كُشفَ الغطاءُ عنك لا ترى سواهُ مركزاً لها ومحورا

أي الحُسَين..

لو كُشفَ الغطاءُ عنك لا ترى سواهُ مركزاً لها ومحورا

لأن الحُسَين هو خلاصة تلكم الصورة، الحُسَين صلوات الله وسلامه عليه هو المظهر الأتم، المظهر الأجمل لتلكم الصورة، أُقَرّب لك المعنى برواية وكلمات أهل البيت تقرب المعاني أكثر من كلامي ومن كلام غيري، الرواية مروية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه في كامل الزيارات، الرواية طويلة أنا أشير إلى موطن الحاجة، الإمام يتحدَّثُ عن فترة رضاعة الحُسَين صلوات الله وسلامه عليه، ماذا يقول الإمام؟ والإمام يتحدث عن مقطعٍ فترة زمانية الإمام يقول: **إن الحُسَين ما رضعته فاطمة ولا أيُّ أنثى** – في فترة زمانية من رضاعته والذي يبدو من خلال الجمع بين القرائن الفترة الأولى من ولادته الإمام يقول: **ما رضعته فاطمة ولا أيُّ أنثى** – هذا إمامكم الصادق يقول: **وإنّما كان يؤتى به لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيضع إبهامهُ في فمه فيمصه فيكتفي بذلك اليومين والثلاثة** – هذه كلمات الصادق وليست كلماتي – **فيكتفي بذلك اليومين والثلاثة** – ثم يُعَقّبُ إمامنا الصادق يقول: **ومن هنا نبت لحم الحُسَين من لحم رسول الله ودمهُ من دمه** – ما يجري في هذا العالم هو صورةٌ لما في العوالم العالية، في العوالم الغيبية هو هذا المراد من قوسي الصعود والنزول، هناك قوسٌ نازل تظهر فيه صور الأشياء حقائق الأشياء وهناك قوسٌ صاعد، مراتبُ الأشياء النازلة، مراتب الموجودات النازلة والصاعدة تلتقي في نقطةٍ هذه النقطة هي النقطة الجامعة.

وهل ترى لملتقى القوسين أثبتَ نقطةً من الحسين

لأن الحُسَين صلوات الله وسلامه عليه هو مجمع الرحمة، وحين أتحدث عن الرحمة لا بمعنى الرحمة الإنسانية، الرحمة الإنسانية هذه في العالم الأرضي إنما أتحدث عن معنى الرحمة الرحمانية، حين تقول الرحمن الرحيم هناك

رحمة رحمانية وهناك رحمةٌ رحيمية، هذه الرحمة الواسعة التي تسع الوجود تجلّت في الكلمة الأولى وكان من أوضح مظاهر هذه الرحمة الحقيقة الحُسَينية، وأشرتُ في الليالي الماضية إلى أن كلمات النبي تُصَرّح بأن الجنة والحور العين كان خلقها من نور الحُسَين من نور الحقيقية الحُسَينية، الرواية هنا وهي تتحدث عن أن لحم الحُسَين نبت من لحم رسول الله، وأن دم الحُسَين من دم رسول الله، الرواية هنا أولاً تخبرنا عمّا جرى في العالم الأرضي، وفي نفس الوقت تشير إلى تلكم المعاني العميقة التي أشار إليها الشيخ الأصفهاني في هذين البيتين والذَين اقتَبس المعاني فيهما من كلمات أهل البيت من رواياتٍ غزيرةٍ ووفيرة، أنا لا أريد الحديث عن هذا المطلب بشكل مفصّل لكنني أجعلهُ باباً أريد أن أصل لأُبين الخصوصية التي تتعلقُ بالحاضنة الحُسَينية التي كان الحديثُ عنها، وإلا هذا المطلب يحتاج إلى تفصيلٍ أكثر من هذا التفصيل، أنا أريد أن أصل إلى الخصوصية الحُسَينية، أن الحُسَين صلوات الله وسلامه عليه هو مجمَع الرحمة، وهو مجمَع الجمال الإلهي.

إذا تتذكرون كان الحديثُ في الليالي الأولى قلت بأن أهل المعرفة هكذا يقولون: يقولون بأن الحُسَين هو أتمُّ نشآت مظاهر الجمال الإلهي، ولذلك كانت الجنان من نوره، الحور العين من نوره، وأشرت إلى رواياتٍ تتعلق بهذا المعنى في الليالي الأولى من لياليا هذه، الحُسَين مجمع الرحمة، والحُسَين مجمع الجمال، وهنا أذهبُ إلى الأحاديث التي يخبرنا فيها نبينا والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين من أن الإنسان يولدُ على الفطرة، وربما الكثير منكم يحفظ هذه الأحاديث أو سمع بها، إنما يولد الإنسان على الفطرة، أبواه يمجسانه، يهودانه، ينصرانه، ما معنى الفطرة هنا؟

حين يسألون الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه عن معنى الفطرة، قال: **الفطرة لا إله إلا الله، مُحَمَّدٌ رسول الله، عليٌّ وليُّ الله.**

هي هذه الفطرة، هذا رمزٌ، رموز هذه الكلمات، هذه الكلمات كلها رموز وتلويحات، المخلوق البشري – **إنَّ الله خَلَقَ آدمَ عَلىَ صُورَته** – المخلوق البشري هو صورة لتلكم الصورة الكبيرة، والفطرة هي البذرة الأولى في تكوين الإنسان، الإنسان جسدٌ وروح، وفيما بين الجسد والروح هناك النفس، لأن الجسد مادة والروح معنى ولا يمكن أن ينسجم المعنى مع المادة إلا بوجود وسيط، هناك وسيطٌ برزخي وهو النفس، النفس فيها جهةٌ مادية وجهةٌ معنوية، وهي الرباط بين الروح والجسد، الفطرة هي بذرة الروح، هي الوجود الأعمق للروح، والروح هي كيان الإنسان الحقيقي، النفس البشرية فيها طبقتان: هناك طبقة اللاشعور، وهناك طبقة الشعور، طبقة اللاشعور هي رباطُ النفس من جهة الروح، وطبقة الشعور هي رباط النفس من جهة البدن، وأكثر أفعال الإنسان إنما تأتي من لاشعوره، والمورثات النفسية إنما تظهر في طبقة اللاشعور، أكثر التصرفات التي يتصرف بها الإنسان إذا أردنا أن نحللها وأن نذهب بعيداً للبحث عن جذورها فهي نابعة من اللاشعور، من طبقة اللاشعور، وطبقة اللاشعور هي مساحةٌ تتجمع فيها الصور، تتجمع فيها

التأثرات من دون أن يلتفت إليها الإنسان، الآن الإنسان بالنحو المادي إذا يجلس في مكان فيه روائح طيبة هذه الروائح الطيبة تترك أثرها على ثيابه على بدنه، وإذا جلس في مكان فيه روائح كريهة أيضاً تترك هذه الروائح الكريهة على ثيابه على بدنه من دون أن يلتفت إلى ذلك، هناك طبقة هي طبقة اللاشعور، هذه تجتذب إليها المعاني، نحن عندنا في رواياتنا في روايات آداب المنازل والبيوت يُكره للرجل أن يقترب من زوجته وطفلٌ في البيت يسمعُ الأصوات، حتى لو كان رضيعاً، كراهة شديدة، في بعض الروايات يُخاف عليه إذا كَبُر أن يكون زانياً، هناك كراهة شديدة، كراهة شديدة جداً في الروايات، أن يكون طفل رضيع، حتى لو كان رضيعاً، لو كان ابن يوم واحد، وأن يقترب الرجل من زوجته وهذا الطفل يصل إلى مسامعه الأصوات، هو هذا التأثير في اللاشعور، وإلا هذا الطفل هل يحس بشيء، ومثل هذا موجود كثير في الروايات، الآن ليس الكلام عن نظرية علم النفس في حديث أهل البيت، وإلا هذا باب واسع كبير، كلمات أهل البيت تحدثت في خصوص تركيب النفس البشرية بشكل كثير جداً، لأن أهل البيت تحدثوا عن قضية التربية، وموطن التربية والهداية والإرشاد النفس البشرية.

طبقة اللاشعور تكتسب مثل قضية هذا الطفل الرضيع، هذا طفل لا يعي، إذاً أين يكون التأثير؟ التأثير يكون في طبقة اللاشعور وما نرثهُ من آبائنا من حالات معنوية هو منتقل في طبقة اللاشعور، والآن علماء النفس، علماء الطب، ألا يوصون المرأة الحامل أن لا تتعرض للضغط النفسي الهائل، لأن هذا ينعكس على الجنين، إذا تعرضت لخوف الطفل يخرج خائفاً، إذا كانت حزينة الطفل يخرج حزيناً، وهذه قضية روايات أهل البيت بينتها والآن العلم الحديث أثبتها بالقطع واليقين بالتجربة الحسية، هذا التأثير أين يكون؟ ليس في طبقة الشعور، هذا الجنين لا يشعر إنما هي في طبقة اللاشعور، طبقة اللاشعور، وهي مساحة الذاكرة الباطنية للإنسان هي التي تحركنا، هذه الحركة الظاهرية والاندفاعات والعمل والذي يبدو لنا أنه يأتي من حالة الشعور هذا هو مظهر لطبقة اللاشعور، أخلاقُ الإنسان، طبائع الإنسان، تصرفات الإنسان، من أين تأتي؟ هذه طبقة اللاشعور هي التي تترك التربية الأولى آثارها فيها، التربية الأولى في وقت الطفولة تترك الآثار العميقة في هذه الطبقة وهذه الطبقة إذا ما سوّدت فإنها تحجب الفطرة، لأن الفطرة تحتها، أنا قربت المعنى هي المعاني ليست معاني حسية لكن بالنتيجة هذه المطالب العقلية إذا أردنا أن نفهما نحتاج إلى تقريبها بأمثلة حسية، أنا قلت النفس مرتبطة بالروح وجهة ارتباط النفس بالروح هو طبقة اللاشعور، ومرتبطة بالجسد وجهة الارتباط هي طبقة الشعور والفطرة في الروح، أنا إلى أين أريد أن أصل؟ ليس الكلام هنا عن التربية ولا عن النفس، أريد أن أصل إلى هذه النتيجة إلى أي نتيجة؟

أريد أن أصل إلى التأثير الحُسَيني في التركيبة البشرية في أصل التركيبة البشرية أريد أن أصل إلى هذه القضية، لربما يتضح المثال أكثر حين أذهب إلى مقطعين من مقاطع تأريخ البشرية، البشر لهما والدان، الوالد الأول

هو أبونا آدم والوالد الثاني هو أبونا نوح، نوح يقال له الأب الثاني للبشرية، لأن البشرية هلكت في أيام النبي نوح عليه السلام، هذان المقطعان الكبيران المهمان في تأريخ البشرية لنرجع نتفحص هذين المقطعين، ومن هناك كانت بداية نشوء طبقة اللاشعور المتوارثة، آدم عليه السلام تعرفون قصتهُ، أنا أريد أن أذهب إلى موطن الحاجة، بعد أن كان في عالم الملائكة، وفي عالم الجنان وبعد أن كان وكان، ثم أنزل إلى الأرض، ولَمَّا أُنزلَ إلى الأرض وجاءت التوبة وكل هذه مراحل لخلقة آدم، قصة آدم ليست قصة تأريخية، لأن آدم ما كان موجوداً على الأرض، والتأريخ قصة الإنسان على الأرض، آدم ما كان على الأرض فليست قصة تأريخية، هذه قصةٌ رمزية، هي قصة الخلق، وإلا آدم ما كان على الأرض حتى نكتب تأريخاً عن آدم، ليس كقصص الأنبياء، نزل آدمُ على الأرض وكانت التوبة، وتعرفون قصة التوبة وسمعتم بها، الأسماء الخمسة لَمَّا نَزَلَ جبرئيلُ بالأسماء الخمسة: يا محمود بحقّ مُحَمَّد، بحقّ أحمد، بحسب الروايات المختلفة، يا عالي بحقّ عليّ، الدعاء المعروف، آدم يسأل جبرئيل، قال أخي جبرئيل ما لي كلما ذكرت الاسم الخامس انكسر قلبي؟

مالي كلما ذكرتُ الاسم الخامس دمعت عيناي؟ ما لي كلما ذكرتُ الاسم الخامس يصيبني الحزن؟

تلاحظون هذا المقطع مقطع مهم في حياة آدم طبقة اللاشعور تلتقط وتؤثر فيها الأحداث المهمة جداً، قبل قليل قلت بأن الجنين في بطن أمه إذا مرت على الأم ظروف استثنائية مثل الخوف مثل الحزن هذه تنطبع في الجنين لماذا؟ لأنها ظروف استثنائية، الظروف العادية لا تؤثر في الجنين، لو كانت المرأة تجلس صباحاً، المرأة الحامل تأكل طعام فطورها، وثم تعمل في بيتها بنحوٍ اعتيادي وتبقى إلى اليوم الثاني والثالث ويمر الشهر الأول والشهر الثاني وهكذا لا يوجد هناك أيُّ تأثير لكنها إذا وضعت تحت ظروف ضغط قوية من خوف، من إرعاب، إرهاب، وغير ذلك، من حزن شديد، هذه الظروف الاستثنائية تترك تأثيرها على طبقة اللاشعور في الجنين، ونفس الشيء أيضاً الإنسان، حتى الإنسان الكبير إذا ما مرت عليه ظروف استثنائية، الإنسان الذي يودع في زنزانة لفترة طويلة هذا الضغط النفسي سيترك شيئاً في عالم اللاشعور عند الإنسان، بحيث الإنسان لَمَّا يخرج من الزنزانة يتصرف بطريقة هذه الطريقة ليس هو الذي يريدها ولكن شخصيتهُ تغيرت، أين هذا التغير؟ لو يريد أن يبحث عنه هذا التغير ليس موجوداً في ما يحسهُ في ظاهر حياته وإنما هناك شيء في أعماقه تغير، في طبقة اللاشعور.

آدمُ عليه السلام في هذه اللحظة في لحظة التوبة وكانت أصعب لحظة في حياته بعد أن نزل من الجنان إلى هذه الأرض اليباب، إلى هذا التراب، وهو في هذه الحالة في أشد حالاته، في أشد حالات أذيته وحزنه وندمه وتمر عليه هذه الحالة، لَمَّا فُتح له باب الفرج بهذه الأسماء الخمسة حينما يمر الاسم الخامس تنقلبُ حالته، جبرئيل أخبرهُ بحسب الروايات والقضية ليست قضية تأريخية، هذا تغيير في التكوين الإنساني، قصة آدم قصة خلق الإنسان مثل ما يخلق الوليد في الجنين، مثل ما يُخلق الوليد الجنين في الرحم يمر بمراحل،

مرحلة خلقة آدم هي مرحلة الرحم لنا لآبائنا للبشر، جبرئيل يخبرهُ يقول إن صاحب الاسم الخامس سيُقتلُ عطشاناً، وسيكون ما بينه وبين السماء من شدة العطش كالدخان، من شدة العطش، وقال له بأنه سيُذبحُ من القفا، من القفا يعني من الخلف، وللعلم، نتحدث عن هذا إن شاء الله في الليلة الآتية سيد الشهداء ذُبح وهو حي، بقية الشهداء ذُبحوا وهم أموات، الحُسَين ذبحوه وهو حي، هناك فارق بين أن تقطع رأس إنسان ميت، وبين أن تقطع رأس إنسان حي، الحُسَين قُطع رأسهُ وهو حي، وقُطعَ من القفا.

قال صاحب الاسم الخامس يُقتل عطشاناً حتى يكون فيما بينه وبين السماء مثل الدخان، وإنه يُذبحُ من القفا، هذه الرواية وأمثالها رموز تتحدث عن نشوء طبقة في بنية النفس البشرية، هذه القضية ليست حكاية تأريخية، آدم هو المثال الذي أنشأهُ الله سبحانه وتعالى وعلى صورته – **إنَّ الله خَلَقَ آدمَ عَلىَ صُورَته** – وهذا المثال هو الذي سيتوالد يتناسل يتكاثر، التركيبة الموجودة في آدم وهي تركيبة الفطرة، الله خلق المخلوق على الفطرة، خلق الإنسان على الفطرة، والفطرة هي هذه، الفطرة هو هذا المجمع مجمع هذه المعاني، حينما قال الصادق عليه السلام الفطرة: **لا إله إلا الله، مُحَمَّدٌ رسول الله، عليٌّ وليُّ الله.** هذا المعنى الموجود في فطرة آدم هو هذا الذي جعلهُ يتحسس وينجذب إلى هذا الاسم الخامس بخصوصية، لماذا؟

آدم هنا لا يتعامل مع ألفاظ، آدم هو أعلم الأنبياء بعد نبينا للعلم، آدم هو أعلم الأنبياء بعد نبينا، الروايات تتحدث أن إبراهيم أُعطي خمسة أو أربعة حروف من حروف الاسم الأعظم، الذي هو العلم الأعظم، الاسم الأعظم هو العلم الأعظم، موسى أُعطي اثنان من حروف العلم، وآدم خمسة وعشرين، آدم أعلم الأنبياء بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، الحديث هنا لا عن ألفاظ، هؤلاء الأنبياء لا يوجد حاجز فيما بينهم وبين عوالم الغيب، آدم هنا يتحدث عن حقائق لا عن ألفاظ مثل ما نحن نلقلق بالألفاظ، القضية أبعد من هذا، فآدم هنا في هذه الرواية، في هذه الواقعة، في هذا المشهد، قل ما شئت من العبارات، يمثل صورة ومرحلة من مراحل تكوين النفس البشرية، وهذا الحزن الذي يصيبهُ عند الاسم الخامس هذا ينطبع في آدم وحينما ينطبع في آدم ينتقل إلى أبنائه، والقضية تذهب إلى معنىً أبعد من ذلك، نَعَم التربية وعوامل البيئة والتعليم إنما يمجسانه وينصرانه.

حينما ننتقل إلى مرحلة الأبوة الثانية، إلى مرحلة نوح عليه السلام، بشكل مختصر وما أريد أن أطيل عليكم وإن كانت المطالب تجبرني على أن أطيل، حينما نذهب إلى المرحلة الثانية، إلى مرحلة الأبوة الثانية في تأريخ البشرية، بشكل سريع أقول النبي نوح كما يخبرنا إمامنا الصادق، القرآن يخبرنا يقول بأنه عاش 950 سنة، ألف إلا خمسين، القرآن يخبرنا عن النبي نوح، إمامنا الصادق يحدثنا يقول: الثلاثمائة سنة الأولى عانى ما عانى نوح مع قومه، ثلاثمائة سنة عانى ما عانى مع قومه، وعانى أصحابهُ الكثير فكانوا يضربونه حتى يغمى عليه ويبقى طريحاً في الطرقات ثلاثة أيام يجري الدم من أذنيه، هكذا يخبرنا إمامنا الصادق، كانوا يضربونه

حتى يُغمى عليه متى؟ حينما يأتي يدعوهم للهدى يدعوهم للتوحيد يضربونهُ، حتى يُغمى عليه ويبقى طريحاً في الطرقات مدة ثلاثة أيام والدم يجري من أذنيه، إذا كانوا يفعلون مع النبي هكذا مع أتباعه ماذا يفعلون؟ القضية ستحتاج إذا أردنا أن نتصورها تحتاج إلى مساحة واسعة من تصور انتهاك الحقوق والتعذيب والإيذاء إذا كان يفعلون مع النبي هكذا، يُضرب حتى يُغمى عليه، معهم على هذا الحال ثلاثمائة سنة، لَمَّا أراد أن يدعو على قومه نزلت الملائكة عليه وطلبت منه يا نبي الله أصبر عليهم الإمام يقول: أعطاهم مهلة ثلاثمائة سنة أخرى، وعاد إلى دعوته وعادوا إلى فعلهم معه، ثلاثمائة سنة أخرى، انتهت ثلاثمائة سنة أخرى، أراد أن يدعو على قومه.

الإمام الصادق يقول: فنزل الملائكة عليه وطلبوا منه، لم يأمروه إنما كانوا بمثابة الوسيط، طلبوا منه قالوا يا نبي الله أمهلهم، أمهل قومك، قال: أمهلتهم ثلاثمائة سنة أخرى، ونفس العملية يدعوهم وهم يبادلونه بالضرب وبالتعذيب معه ومع أصحابه، لَمَّا تمت تسعمئة، ثلاثمائة الأولى، الثانية، الثالثة، تمت تسعمائة فدعا على قومه ودعا بالفرج، نزلت الملائكة على النبي نوح فقالوا له: يا نبي الله خُذ هذا النوى- نوى تمر- خذ هذا النوى وأعطه لأصحابك فليغرسوه حتى يُثمر ويخرج التمر يكون الفرج، فأخذوا النوى غرسوه، والنوى حتى تكتمل النخلة وتثمر يحتاج إلى عدة سنوات، أكتمل النخيل وخرج التمر فذهب أصحابهُ فرحين، أنزلوا التمر وجاءوا به يا نبي الله هذا التمر، نزل الوحي عليه فليأكلوا التمر ويأخذوا النوى ويغرسوه مرة ثانية وإذا خرج التمر يكون الفرج، ثلث من عندهم قالوا في أمان الله، بقي الثُلثان، أكلوا التمر وغرسوا النوى واكتملت الأشجار، أكتمل النخيل، وخرج التمر، خرجت الثمار، وجاءوا به إلى النبي قالوا يا نبي الله هذا التمر، نزل الوحي فليأكلوا التمر وليأخذوا النوى يغرسونه وإذا خرج التمر يأتي الفرج، ثلث أيضاً قالوا في أمان الله، ذهبوا، بقي الثلث الأخير، أخذوا النوى وغرسوا وصار النخيل وخرج التمر وجاءوا به إلى النبي قالوا يا نبي الله ما بقي منا إلا القليل، فدعا الله سبحانه وتعالى، وقيل له أنت الآن ابدأ أصنع السفينة، فبدأ بصناعة السفينة.

القضية خلاصتها خمسون سنة، منذُ أن دعا بدعاء الفرج إلى الطوفان خمسون سنة، 950 سنة عمره ثلاثمائة الأولى، الثانية، الثالثة هذه الفترة فترة النخيل، وفترة الدعاء وصناعة السفينة خمسون سنة، ما بين الدعاء وما بين استجابة الدعاء خمسون سنة، صنع السفينة وقومه يمرون ويضحكون عليه، ماذا تصنع بها، أرض خالية ما موجود بحر ولا موجود شيء ماذا تصنع بها؟ وبعد ذلك الروايات تخبرنا بأنهم أخذوا يتغوطون فيها، صارت المراحيض العمومية لقوم نوح هي السفينة، ملئوها بالنجاسة، إلى أن تقول الروايات في يوم من الأيام كان أحدهم مصاب بجرب كان مريض ووقع عليه شيء من النجاسة كان ماراً بجنب السفينة وقع عليه شيء من النجاسة فلما حكهُ حكهُ أصابتهُ حكة فرأى أن هذه النجاسة قد كانت سبباً لشفاء هذا

المرض الجلدي، أخذ كمية أخرى شفا بسبب هذه النجاسة فهجموا، نظفوها وغسلوها للنبي بعد ذلك، أخذوا ما فيها من النجاسة وجدوا فيها شفاء أمراضهم، هكذا تخبرنا الروايات، وكان هذا في الفترة القريبة للطوفان وحدث الطوفان، مورد الشاهد هنا أن أصحاب نوح كان عددهم ثمانين الذين صعدوا في السفينة، لذلك يقال عن نوحٍ النبي بأنه أبو البشرية الثاني، و أصعد معهُ الحيوانات وعدد أصحابه كان ثمانين، لذلك القرية الأولى التي نشأت بحسب الروايات كانت في العراق تسمى بقرية الثمانين، قرية الثمانين هي القرية التي سكنها أصحاب نوح، ثمانون شخص، أنت تصور ما هي الحالة النفسية لهؤلاء القوم هذا العدد الطويل من السنين وهذه الامتحانات ثم جاء الطوفان، والطوفان مخيف، مخيف جداً القرآن يقول:

وهي تجري بهم في موجٍ كالجبال، وصف مرعب هذا، ألم يذهب ابن نوح يام أو كنعان في رواياتٍ أخرى، وقال سآوي إلى جبلٍ يعصمني قال لا عاصم اليوم من أمر الله لأن الأمواج هي كالجبال، وهي تجري بهم في موجٍ كالجبال، هذه الظروف الاستثنائية، ويرون هذا الاضطراب الهائل والمطر كان يخرج من الأرض ومن السماء ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ المطر كان نازل من السماء بماءٍ منهمر، ماء منهمر يعني ليس قطرات، يعني بحر يصب عليهم من السماء وبحر من الأرض والبداية من أين كانت؟ فار التنور، التنور الذي هو موطن النار، التنور الذي يُخبز فيه الخبز، إذا فار التنور كانت العلامة لنوحٍ هي هذه أنهُ إذا فار التنور في بيت سام ابن نوح الكبير، إذا فار التنور أنتم أركضوا إلى السفينة أركبوا فيها لأنه بداية الطوفان كانت أن يفور التنور، وهي علامة غريبة التنور الذي هو مكان لطبخ الخبز لإنضاج الخبز بالنار، وإذا بالنار تُخمد ويفور الماء، فالماء كان يفور من باطن الأرض ومن السماء بماءٍ منهمر ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ تلاحظون أمواج كالجبال وتجري، تجري يعني سريعة وهي تجري بهم لماذا؟

لسرعة المياه يعني كانت تتكفأ بهم وهي تجري بهم في موجٍ كالجبال، الآن حتى أقوى الحيَل الإخراجية ما تستطيع أن تُصور هذا المنظر، أقوى الحيَل الإخراجية، أقوى أجهزة المؤثرات الصوتية والتصويرية الآن في هوليود أو غير هوليود، ما تستطيع أن تُصور هذه الصورة، أمواج كالجبال، وبحر نازل من السماء، وبحر خارج من الأرض، فتصوروا هؤلاء الذين يعيشون في هذه السفينة هذه المجموعة والتي مرت عليها كل تلك الظروف الاستثنائية وبعد ذلك تنجو السفينة، والسؤال كيف نجت سفينة نوح؟

الجواب في رواياتنا في بحار الشيخ المجلسي وفي غير بحار الشيخ المجلسي، نزل جبرئيل بالمسامير الخمسة وهذه المسامير الخمسة هي التي طرقها وضربها نوح في سفينته، كانت سبب نجاته، كانت سبب نجاة السفينة، ولَمَّا ضرب المسمار الخامس خرج منه سائل فسأل جبرئيل قال هذا دمُ الحُسَين، المسمار الخامس لَمَّا ضربهُ

الرواية تقول فأزهر وأنور وخرج منه سائل، نوح سأل جبرئيل ما هذا؟ فحدّثهُ بحديث الحُسَين عليه السلام وتلك رموزٌ، تلك رموزٌ تتحدثُ عن انطواء النفس البشرية على هذا المعنى، حتى لو كانت قضية تأريخية فإن أصحاب نوح ستترك هذه الأحداث تأثيرها في طبقة اللاشعور، مثل ما الإنسان يمر بأحداث هائلة تترك هذه الأحداث تأثيرها وصورها في طبقة اللاشعور.

وهذا ما قصدتهُ في الليالي الماضية وقلتُ بأن هناك قوة جذبٍ في الحُسَين، هذه القوة تجذب النفوس إليه، ولذلك هذه هي الخاصية الأهم في هذه الحاضنة قوة الجذب ما هي؟ لا أعرف معناها حقيقة، ما هي هذه القوة؟ أنا لا أعرف معناها ولا أعتقد أن أحداً يعرف معناها، لماذا نحن مستعدون، وخصوصاً هناك طبقة في كل العالم أبحث عنهم ستجدهم في الهند، في الباكستان، في بنغلاديش، في الكويت، في العراق، في لبنان، في سوريا، في أوربا، في الولايات المتحدة، في استراليا، في كندا، في دول الخليج العربي، في كل مكان، تجد هناك مجاميع من الناس مستعدة أن تقدم للحُسَين كل شيء وهي تشعر بأنها ما قدمت شيء، ولو تسألهم لماذا؟ لا يعلمون، ربما يجيبك جواباً أنا أستطيع أن أتكلم وإلى الصباح معكم وآتي بروايات وأحاديث عن الثواب والأجر وعن حب الحُسَين لكن الحقيقية ليست هي هذه، هناك شيء موجود أنا لا أعرفه، وأنتم لا تعرفونهُ أيضاً، هناك سرٌ وهذا السر لستُ أنا الذي أقول عنه سر، مُحَمَّدٌ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يقول عنه سر، لست أنا الذي أقول، المحدث الكراجكي من علمائنا ومن محدثينا الأجلاء في كتابه (الخرائج والجرائح) ينقل رواية جميلة جداً الرواية طويلة عن المقداد بن الأسود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنا أخذ منها موطن الحاجة فقط، المقداد يسأل النبي عن الحُسَين، ماذا يقول النبي صلى الله عليه وآله؟ يقول له:

إنَّ للحُسَين في بَوَاطن المؤمنين معرفةً مكتومة – هناك معرفة مكتومة، مكتومة يعني لا نعرف معناها، هذه كلمة النبي صلى الله عليه وآله – **إنَّ للحُسَين في بواطن المؤمنين معرفةً مكتومة** – ثم قال له: سل أمهُ عنه، سل فاطمة عنه، المقداد يذهب إلى أم الحسن والحُسَين، فيسأل فاطمة، تحدثهُ بحديث فيه تفصيل، أنا أذهب إلى موطن الحاجة فقط، فماذا تقول فاطمة للمقداد؟ تقول له وهي تحدثهُ عن مقدمات وإرهاصات ولادة سيد الشهداء تقول له: **إن أبي قال لي: أرى في مقدم وجهك ضوءاً ونوراً** – هذا الضوء والنور ضوء الحُسَين ونور الحُسَين، وهي تقول تحدّث المقداد تقول: **فلمَّا صار الشهر السادس** – تحدثهُ في الشهر الأول، الثاني، موطن الحاجة هنا: **لمَّا صار الشهر السادس** – بدايات الشهر السادس، فاطمة تقول للمقداد: **فإني ما كنت في الليلة الظلماء أحتاجُ إلى مصباح** – مصباحُ أبي عليّ، يَزهر في ظُلمات الليالي تقول له: **فإني حينما صار الشهر السادس كنت لا أحتاجُ في الليلة الظلماء إلى**

مصباح، وكنت حين أختلي بنفسي في مصلاي أسمع التنزيه والتسبيح والتقديس في باطني – هذا هو مصباح الهداية، هذه هي المعرفة المكتومة التي لا نعرف معناها، هذه هي الحرارة في قلوب المؤمنين حرارة الروايات تقول: للحسين لحُبّ الحُسَين لا تبرد أبداً، هذه الحرارة ما هو معناها؟

لا نعرف معناها، يمكن أن نسطر الكلام، وندبج الخُطَب، ونُطول ونعرض في الحديث، لكن الحقيقة ليست هي هذه، الحقيقة نحن لا نُدرك سرها، وهذا هو سرُّ الحُسَين، لذلك كان الحُسَين هو هذه المادة الأولية لنشوء هذه الحاضنة، لأن هذه الحاضنة تجذب إليها القلوب من دون سبب، مثل ما نقرأ في الأدعية في أدعية الرزق:

يا مسبب الأسباب من غير سبب، الحُسَين صلوات الله وسلامه عليه فيه خاصية يجذب إليه القلوب من دون سبب، القلوب تنجذب إلى الحُسَين وهذه القضية كانت مع الحُسَين منذُ طفولته، وكانت مع الحُسَين قبل أن يولد، مع أبينا آدم، أنا أشرت إلى نموذج، ولو أردت أن أتتبع ما جرى مع الأنبياء الحديث طويل، حديث طويل، أنا أخذت فقط مشهدين من تأريخ البشرية في قصة أبينا آدم وفي قصة أبينا نوح، وإلا بقية الأنبياء أيضاً هناك لهم ذكر وروايات كثيرة مثل هذه الروايات، لكن هذا يحتاج إلى وقت طويل لبسط القول في كل هذه التفصيلات، هذا مرادي من الحاضنة الحُسَينية.

الحاضنة الحُسَينية هو هذا الجو الذي من دخله لا يستطيع أن ينفلت منه، الذي يتذوق الشربت الحُسَيني، يتذوق الشراب الحُسَيني لا يستطيع أن ينفلت منه، مثل ما عندنا في الروايات، عندنا إن الله سبحانه وتعالى خلق خلقاً من رحمته، لأي شيءٍ؟ خلق خلقاً من رحمته لا لأجلهم، وإنما لأجل غيرهم، هناك بعض الناس الله يخلقهم لأجل الآخرين، يكونون سبب رحمة في قضاء حوائجهم، في إعانتهم، في فك الضيق عنهم، في أي أمرٍ من الأمور التي يمكن أن ينفعوا الناس بها، هناك من الناس من خُلقوا للناس، خلق خلقاً من رحمته، وبرحمته رحمةً بالناس، هناك مجموعات وهناك أناس حسينيون خُلقوا لهذه الحاضنة الحُسَينية، وهذا المعنى فيه روايات ربما أتي عليها في يوم غد إن شاء الله تعالى، هذا مرادي من أن سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه في مشروعه الإلهي العملاق، مشروع عاشوراء أن هدفهُ الأبعد، هدفهُ الأبعد هو المشروع المهدوي، صنع هذه الحاضنة بتلكم العواطف التي جيّشها، وبتلكم المظلومية العظيمة الهائلة، صنع هذه الحاضنة ومن هذه الحاضنة تخرج البذور الأولى و تُثمر الثمار الأولى للمشروع المهدوي، وإلا قُل لي بربك في أي بقعةٍ أو في أي مكانٍ يمكن أن تخرج الجموع المستعدة أن تُقدّمَ كل شيء لإمام زمانها غير هذه المجموعات الحُسَينية، قُل لي في أي مجموعة يمكن أن توجد؟

ولو وجدت في مجموعات يوجد أفراد قلائل لكن أكثر جهة أكثر مكان تجد فيه أناس عندهم الاستعداد للتضحية وأن يُقدّموا كل شيء لأهل البيت عليهم السلام، تجد هذا في الجو الحُسَيني في هذه الحاضنة

الحُسَينية، ومن هذه الحاضنة الحُسَينية تبدأ البداية، وسيد الشهداء يطلب الإصلاح في هذه الحاضنة، سيد الشهداء وضع الخط المائز، سيد الشهداء يطلب الإصلاح في هذه الحاضنة، لا خارج الحاضنة، خارج الحاضنة قضيتها معروفة، رواية عن إمامنا الصادق مذكورة في الكافي الشريف، في الفقيه للشيخ الصدوق، في وسائل الشيعة، في مصادر عديدة رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، ماذا يقول إمامنا الصادق؟

يقول: لَمَّا سقط الحُسَين على الأرض بعد أن ضربوه وسقط الحُسَين على الأرض وابتدروا إليه فذبحوه نادى منادٍ من بطنان العرش، ما قال نادى مَلَك، نادى مُناد، نادى مُناد من بطنان العرش ما هو ندائهُ؟

أن يا أيتها الأُمَّة المتحيرة الضالة بعد نبيها لا وُفقتم لا وفقكم الله لا لأضحى ولا لفطر، فطر يعني جهة الصيام، أضحى جهة الحج، هذه نماذج يعني بطلت عبادتكم، يعني بطل دينكم، هذا خارج الحاضنة، ألا يا أيتها الأُمَّة المتحيرة الضالة لا وفقكم الله لا وفقتم لا لأضحى ولا لفطر، ثم يعلق الإمام الصادق فيقول: لا جرمَ والله ما وفقوا ولن يوفقوا حتى يُثأر بثأر الحُسَين.

إذاً هناك حاضنة هناك شيء خارج الحاضنة، شيء خارج الحاضنة هذا الشيء أعوج، يقول: لا جَرَم والله لا وفقوا ولن يوفقوا حتى يُثأر بثأر الحُسَين، وأنا بينت في ليلة البارحة ما المقصود من ثأر الحُسَين، ليس المعنى القبلي والعشائري هذا المعنى الساذج، فهذا المنادي الذي نادى من بطنان العرش، متى؟ حين هوت السيوف على أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، نادى هذا المنادي ولذلك عندنا رواية عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه يرويها الشيخ النعماني في غيبته، الرواية قصيرة لكنها تجمع كل هذه المعاني التي تحدثت عنها عبارة عن سطرٍ واحد، تجمع كل هذه المعاني ماذا يقول إمامنا الباقر؟ الرواية عن حمران بن أعين رضوان الله تعالى عليه عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه الإمام يقول:

لا يزال دينكم هذا مُولّياً – مولياً يعني مدبراً، يعني لا توجد له أرضية واضحة – **لا يزال دينكم هذا مُولّياً** – يعني بعيداً عن الساحة، بعيداً عن المجتمع، بعيداً عن الواقع العملي – **لا يزال دينكم هذا مُولّياً يفحص بدمه** – يفحص بدمه يعني مثل الجريح الذي يكاد أن يموت وقد غط في بركةٍ من الدماء وهو يتقلب فيها، هذا هو الذي يفحصُ في دمه، يعني إنسان جُرح جراحة كبيرة وسال أكثر دمه فهو في بركةٍ من الدماء، يتفحص يعني يتقلب فيها – **لا يزال دينكم هذا مُولّياً يفحص بدمه** – وهو نفس الكلام الذي أشارت إليه رواية الصادق قبل قليل لا وفقكم الله لا لأضحى ولا لفطر – **لا يزال دينكم هذا مُولّياً يفحص بدمه ثم لا يردهُ عليكم إلا رجلٌ منا أهل البيت** – يشير إلى إمام زماننا الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، للحديث تتمة وللحديث بقية إن شاء الله آتي عليها في الليلة الآتية والليلة الآتية هي آخر مجالسنا.

أنا الحقيقة ما استطعت أن أكمل الجواب لأنني في أول الحديث قلت بأن الجواب على هذا السؤال في

أفقين الأفق الأول: الحديث عن هذه الأهداف وإلى الآن ما استطعت أن أكمل الكلام في الأفق الأول، تتمة الحديث إن شاء الله تأتينا في الليلة الآتية، الأفق الثاني: من الجواب إن شاء الله في فرصة أخرى أكمل الحديث فيها لبيان هذا المطلب.

هذه الليلة ليلة الحُسَين صلوات الله وسلامه عليه المواكب هذه الليلة في كربلاء عند سيد الشهداء، زوار سيد الشهداء هذه الليلة ليلة وداع العائلة، هذه الليلة هي الليلة الأخيرة لسيد شباب أهل الجنة في أرض الطفوف، اليوم هو يوم التاسع وأقبلت القوات الأموية باتجاه المخيم، وتعرفون الحادثة، وأرسل العباس صلوات الله وسلامه عليه أن يمهلوهم هذه الليلة، لماذا؟

صحيح الإمام بيَّن بأنه يريد أن يقضي هذه الليلة بالصلاة والعبادة وقراءة القرآن، لكن هناك شيء أبعد من هذا، الموعد هو غداً، موعد الإمام غداً، موعدهُ مع الله سبحانه وتعالى هو غداً، موعدهُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غداً، موعده مع أمه الزهراء غداً، وغداً تقوم قيامة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في أرض الغاضريات، أنا ما أريد أن أطيل عليكم، من عادتي في مثل هذه الليلة أن أذكر الرضيع، هذه الليلة أذكر فيها الرضيع أجعله باب توسلٍ بين يدي سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه.

الحُسَين لَمَّا أخذ الرضيع وخرج إلى القوم وكثير من التفاصيل أنتم تعرفونها، أنا أريد أن أنقلكم إلى وقت المختار لَمَّا جيء بحرملة، لَمَّا جاءوا بحرملة وأوقفوه بين يدي المختار، المختار سألهُ حدثني عمَّا فعلت فبدأ يحدث، حرملة له أكثر من سهم، سهام حرملة عديدة في يوم الطفوف، لكن هناك سهم هذا السهم أصاب كل قلوب أهل البيت، السهم الذي وقع في نحر عبد الله الرضيع، قال حدثني كيف قتلت عبد الله الرضيع؟

وبدأ يحدّثه عن الخلاف الذي حَدَث، قوم قالوا اسقوه ماء، قوم قالوا لا تسقوه ماء، المختار يسألهُ يقول له: ويلك أما رق قلبك، هو يحدثهُ يقول جاء الحُسَين وهو يحمل رضيعاً بين يديه كأنه فلقة قمر، الحُسَين واقف والرضيع بين يديه كان قريباً من صدره ونحره الشريف، المختار يسأله يقول له أما رق قلبك؟ وهذا يقول: لا، قال فماذا فعلت؟ قال لَمَّا قال لي ابن سعد، عمر بن سعد: يا حرملة اقطع نزاع القوم، كيف يقطع نزاع القوم؟ يعني هل يعطي للرضيع ماءً !! يقطع نزاع القوم أن يقدم له سهماً، قال لَمَّا قال لي عمر بن سعد: يا حرملة أقطع نزاع القوم فأخرجت السهم من كنانتي ووضعتهُ في كبد القوس ووجهتهُ إلى الرضيع، هو يقول في هذه اللحظة هبت ريح، وهذا إضافة إلى معنى تجييش العواطف، هذا هو تجييش للعواطف، المعنى الذي تحدثتُ عنه في الليلة الماضية أن الحُسَين صلوات الله وسلامه عليه جيَّش العواطف كان جيشهُ من العواطف، يقول هبت ريح فرفعت الثوب عن رقبته فبان كإبريق فضة، رقبة عبد الله الرضيع، فبان كإبريق فضة يقول في هذه اللحظة استغل الفرصة فوجهتُ السهم فوقع في رقبته فذبحهُ من الوريد إلى الوريد.

أصاب السهم شيئاً من لُجين جيد عبد الله قد فاضت دماه

لجين يعني الفضة البيضاء

أصاب السهم شيئاً من لُجين جيد عبد الله قد فاضت دماه

وصبغنا كل سعدٍ من نجيعٍ فار كالنافورة في وجه الحُسَين

قال له أما رق قلبك؟ قال: لا، قال ويلك متى رق قلبك؟ قال رق قلبي عند هذه الحالة، أي حالة؟ لَمَّا وقع السهم في رقبة الرضيع وذبحهُ من الوريد إلى الوريد وفاضت دمائهُ كالنافورة على صدر الحُسَين، هذا الرضيع أخرج يديه وأعتنق الحُسَين، قال أنا في هذه اللحظة رق قلبي، لَمَّا سُفح دمهُ ومن حرارة السهم ومن حرارة الجراحة أخرج الرضيعُ يديه ولفهما حول عنق الحُسَين، حول رقبة الحُسَين، ما هي حال العائلة؟ أنا لا أسأل هنا عن حالة سيد الشهداء لكن أقول ما حالُ أمه؟ لذلك الحُسَين صلوات الله وسلامه عليه ما أرجع الرضيع إلى أمه أرجع الرضيع إلى العقيلة.

خويا الطفل عني دا غطيه، أعطاه للعقيلة والعقيلة أخذتهُ بعيداً عن أمه، ما أرادت أن ترى الرباب طفلها قد ذُبح من الوريد إلى الوريد وهي تتوقع أن يسقى الماء، سيد الشهداء بعد ذلك حفر قبراً بين الخيام ودفن الرضيع دفنهُ في قبرٍ بين الخيام، اللعناء يراقبون من بعيد يراقبون كل شيء لَمَّا انتهت المعركة وقُسّمت الرؤوس، قُسّمت الغنائم، ما هي الغنائم؟ رأسُ الحُسَين، رأس العباس، رأس الأكبر، هي هذه غنائمهم سود الله وجوههم، لَمَّا قسموا الرؤوس على القبائل كانت هناك مجموعة ما حصلت رأساً من الرؤوس، وثار خلاف، عمر بن سعد قال أنا أحل المشكلة، تصفح الرؤوس ما رأى رأساً للرضيع، قال أذهبوا انبشوا القبر، حتى جميع الحوادث ما بقيت جريمة من الجرائم إلا وارتكبوها فنبشوا قبر الرضيع والحُسَين صلوات الله عليه أيضاً قام بهذا الأمر لتجييش العواطف، أنا قلت كل الجزئيات في واقعة الطفوف برنامج مرسوم لتجييش العواطف، فذهبوا فحفروا قبر الرضيع، وأخرجوا الرضيع وقطعوا رأسه ورفعوه على رمح ودخلوا إلى الكوفة وهذه العشيرة من العشائر فرحة ترفع رأس الرضيع على رأس رمح مسلوب السنان.

إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه لَمَّا جاء لدفن الأجساد هو يقول، الجسد ما كان فيه رأس أنتم تعلمون ذلك، الحُسَين كان من دون رأس، لكن الحُسَين يتكلم حتى لو كان من دون رأس، والرأس يتكلم حتى لو كان من دون جسد، أليس كان الرأس يقرأ القرآن، الجسد أيضاً كان يتكلم وأكثر من مرة، فلما جاء الإمام السجاد كي يدفن الجسد الشريف والقصة معروفة وما استطاع أن يجمع الجسد لأنه مقطع إرباً إرباً ووضعه على بارية على حصير، وأدخله إلى القبر الشريف، لَمَّا أراد أن يخرج وإذا بالصوت من النحر الشريف:

بني عليّ وسّد رضيعي إلى جنبي، الرضيع مدفون عند الحُسَين، الإمام السجاد جاء بالرضيع وألصقه

بصدر الحُسَين، مدفون مع الحُسَين لذلك في بعض الأخبار أن إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه لَمَّا يصل إلى كربلاء ويدخل إلى الحرم الشريف ماذا يصنع؟ هناك تفصيل مذكور أنا أشير إلى هذه اللقطة وأصحابهُ حوله والرايات تخفق حول الحُسَين، وتصوروا الإمام وداخل إلى كربلاء كم هي الجموع موجودة، الآن زيارة الأربعين ملايين ملايين لو كان الشيعة يعلمون أن إمامهم آتٍ إلى كربلاء كم هي الأعداد أنتم تصوروا، من كل مكان سيقدمون من كل مكان، الآن في هذا الوقت لو تُفتح الحدود للشيعة في كل العالم لرأيتم كيف تزحف الشيعة للحسين، تصوروا كم هي الأعداد الهائلة، لربما هذه هي أكبر تعزية في العالم أكبر مجلس تعزية في العالم والذي يقرأ التعزية الحجة بن الحسن العسكري، تصوروا هذه الأعداد الضخمة ومنبر التعزية أين؟ منبر التعزية على ضريح الحُسَين، ملايين، ملايين من البشر، والذي يقرأ التعزية الحجة بن الحسن والمنبر أين؟ التكية أين؟ التكية على قبر الحُسَين بالضبط، فيمد الإمام يديه فيخرج شيئاً الناس تريد أن تدقق النظر ماذا أخرج؟ يخرج الرضيع يقول:

أصحابي ما ذنب هذا؟ إذا كان للكبار ذنب فما ذنب هذا؟ الطفوف قدمت أطفال وأطفال، وكان للأطفال مواقف في الطفوف، الحُسَين قدم أطفال وأطفال، وأطفال أتعلمون أنه في بعض كتب المقاتل وهناك نسخة مقتل موثوقة منقولة عن الإمام الصادق عليه السلام أنا قرأتها مخطوطة لم تطبع لحد الآن نسخة مخطوطة في مكتبة السيد المرعشي في مدينة قم المقدسة، الإمام صلوات الله وسلامه عليه يقول:

الإمام الحُسَين قتل له رضيعان يوم الطفوف عبد الله وعمره ستة أشهر كانت ولادتهُ في شهر رجب ولد في شهر رجب عبد الله الرضيع كان عمره ستة أشهر، وهناك رضيع آخر ولد في يوم العاشر للحسين أيضاً ذُبح، هناك رضيع ثاني، وأولاد الحُسَين كلهم أسمائهم عليّ حتى عبد الله اسمه عليّ، فهذا الوليد أيضاً أسمه عليّ، إمامنا السجاد يقول: **لو ولد لأبي ألف ولد لسمّاهم عليّاً**، لو كان عنده ألف واحد لسماهم كلهم عليّا.

أشير إلى أطفال مسلم بن عقيل بشكل موجز القصة طويلة قصة أطفال مسلم ربما الكثير منكم يعرفها فقط أشير إلى المشهد الأخير من الواقعة وأسألكم الدعاء، مُحَمَّد وإبراهيم أطفال صغار أعمارهم بين ست سنوات أربع سنوات وقصتهم معروفة وضعا في السجن وفرا إلى أن وقعا في يد ذلك المجرم، وأخرجهما من بيته بجنب النهر، لأي شيءٍ؟ أراد أن يذبحهما أن يقطع رؤوسهما ما أراد أن يلوث بيتهُ بدمهما فأخرجهما إلى جانب النهر وإذا زرتم قبورهم في العراق في المسيب قبورهم قريبة من النهر لأن الجثث مشت في هذا النهر إلى أن وصلت إلى هذه المنطقة، توسلا به قالا: يا عم أرحم قرابتنا من رسول الله، قال: ما لكما من قرابة برسول الله، وما في قلبي من رحمة عليكما، قالا: إذاً خذنا فبعنا في سوق الرقيق وانتفع من ثمننا، لماذا تريد أن تذبحنا؟ كلاب مسعورة هؤلاء، لماذا تريد أن تذبحنا؟ خذنا في سوق الرقيق، في سوق النخاسة وبعنا

هناك وانتفع من ثمننا، قال: لابد من ذبحكما أريد أن أتقرب بكما إلى ابن زياد، قالا: خذنا إلى ابن زياد وهو يحكم فينا، قال: لابد أن أقطع رأسيكما، قالا: له إذاً دعنا نصلي ركعات، قال: صليا إن نفعتكما الصلاة، بعد أن صليا ركعات، فأمسك بالصغير أراد أن يذبحه، الكبير ألقى بنفسه على الصغير قال: أذبحني قبله، لَمَّا أراد أن يذبح الكبير منهما، الصغير ألقى بنفسه على أخيه قال: أذبحني قبله، بعد ذلك جَرَّ الكبير من رأسه وهوى عليه بالسيف فقطع رأسه، تلاحظون وهذا طفل صغير أربع سنوات ينظر إلى أخيه يُذبح تصوروا معي الحالة، طفل عمره أربع سنوات بعد مسيرة طويلة من الألم والعذاب والسجن وما رأوه في يوم الطفوف هؤلاء الأطفال كانوا في الطفوف، وأُخذوا وسُجنوا في سجن ابن زياد، هذا الطفل بعد أن رأى كل الذي رآه والآن وهو بجانب النهر ويرى أخاه يُذبح وسال دمُ أخيه على الأرض، هذا الطفل أتدري ماذا صنع؟

ألقى بنفسه في دم أخيه ولطخ نفسه بدم أخيه، وقال: هكذا ألقى الله ملطخاً بدمي ودم أخي، هذا المجرم أخذ الرأس أخذ رأس الطفل الكبير وضعه في المخلاة في الخرج يريد أن يأخذهُ هدية إلى ابن زياد ماذا صنع بالجثة؟ رمى الجثة في النهر، أنا قلت قبل قليل قبورهم في المسيب قريبة من النهر لأن النهر بعد ذلك حمل الجثث إلى تلك المنطقة، ألقى الجثة في الشط في النهر، كُتّاب السيرة يقولون الجثة ما تحركت بقيت ساكنة في مكانها مع أن الماء كان جارياً المفروض أن الجثة تذهب مع الماء الجاري، الجثة بقيت واقفة، ماذا تنتظر هذه الجثة؟ إلى أن أمسك المجرم بالطفل الصغير وقطع رأسه ووضع رأسهُ في المخلاة وألقى بجثته في النهر هذه الجثة كانت منتظرة الجثة الثانية، كُتاب السير يقولون فاعتنقت الجثتان وذهبتا مع مجرى النهر وتلك قبورهم شاهدة.

سادتي آل مُحَمَّد: السَّلامُ على دياركم الموحشات كما استوحشت منكم مني وعرفات.

اللَّهُمَّ إنا نسألك بلوعة آل مُحَمَّد على رضيع الحُسَين، نسألك بلوعة أطفال الحُسَين بلوعة أيتام الحُسَين أن تُعَجّلَ في فَرج إمامنا صلوات الله وسلامه عليه، وأن لا تحرمنا من خدمة الحُسَين.

أسألكم الدعاء جميعاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلّى الله على سيدنا ونبينا مُحَمَّدٍ وآله الأطيبين الأطهرين.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ